حرمة تصوير

ذوات الأرواح

تأليف:

أبي يوسف نجيب بن عبده بن قاسم الأحمدي الشرعبي

المـقـدِّمَـــة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وَ﴿عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَن تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ:

أَمَّا بَعْـدُ:

فَهَذِهِ نَصِيحَةٌ لِّلْمُسْتَهِينِينَ بِصُوَرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، وَهِيَ خُطْبَةُ جُمْعَةٍ، أَوْدَعْتُهَا فِي الْمُجَلَّدِ الثَّانِي مِنْ خُطَبِي الْمِنبَرِيَّةِ: مَا تَيَسَّرَ مِنْ خُطَبِ الْمِنبَرِ.

وَقَدْ أَفْرَدتُّهَا هَا هُنَا؛ لِيَسْهُلَ الِانتِفَاعُ بِهَا، واللهُ الْمُوَفِّقُ.

حرمة تصوير ذوات الأرواح

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ (برقم: ٢٨٦٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

أَلَا وَإِنَّ مِن جُمْلَةِ الْفِتَنِ الَّتِي هِيَ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَلَهَا أَثَرٌ ظَاهِرٌ فِي فَسَادِ الْقُلُوبِ، وَإِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ وَإِبْدَاءِ الْفَضَائِحِ وَكَشْفِ الْعَوْرَاتِ وَالْعُيُوبِ، فِتْنَةٌ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَاعِلَهَا لَعْنًا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا حِسًّا وَمَعْنًى، فِتْنَةٌ ابْتُلِيَ بِهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ وَالْخَلْقُ الْكَثِيرُ، فَمَآلُهَا خَطِيرٌ، وَشَرُّهَا مُسْتَطِيرٌ، إِنَّهَا فِتْنَةُ التَّصْوِيرِ؛ لَذَا وَجَبَ أَن يُعْلَنَ عَلَيْهَا النَّكِيرُ، وَأَن يُطْلَقَ مِنْهَا التَّحْذِيرُ، فَأَقُولُ مُسْتَعِينًا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ:

إِنَّ فِتْنَةَ التَّصْوِيْرِ مَعَ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِيْنَ هِيَ الذَّرِيْعَةُ إِلَى ظُهُورِ الشِّرْكِ فِي الْأَرْضِ، فَبِهَاتَيْنِ الْفِتْنَتَيْنِ اسْتَدْرَجَ الشَّيْطَانُ مَنِ اسْتَدْرَجَ مِن بَنِي آدَمَ إِلَى إِحْدَاثِ أَوَّلِ كُفْرٍ فِيهِمْ، قَالَ ﷻ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢١-٢٤].

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٩٢٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»**.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ"(ج٢/صـ: ٣٠٠): وَيُبَيِّنُ صِحَّةَ هَذِهِ الْعِلَّةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَن يَّتَّخِذُ قُبُورَ الْأَنبِيَاءِ مَسَاجِدَ.ا.هـ.

وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ فِتْنَتَيِ الشِّرْكِ وَالتَّصْوِيرِ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ، فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذَكَرَتَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ، فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أُولَئِكِ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٢٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٥٢٨).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ أَوَائِلُهُمْ؛ لِيَتَأَنَّسُوا بِرُؤْيَةِ تِلْكَ الصُّوَرِ، وَيَتَذَكَّرُوا أَحْوَالَهُمُ الصَّالِحَةَ، فَيَجْتَهِدُوا كَاجْتِهَادِهِمْ، ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ جَهِلُوا مُرَادَهُمْ، وَوَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّ أَسْلَافَكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ وَيُعَظِّمُونَهَا، فَعَبَدُوهَا، فَحَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَن مِّثْلِ ذَلِكَ؛ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟: **«أَن لَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٦٩).

وَفِي رِوَايَةٍ لَّهُ: **«وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: **«أَن لَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ»**، فِيهِ الْأَمْرُ بِتَغْيِيرِ صُوَرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ.ا.هـ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»**.

قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٠٧).

وَفِي رِوَايَةٍ لِّمُسْلِمٍ: **«الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لَّهُ أَيْضًا: قَالَتْ: كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تِمْثَالُ طَائِرٍ، وَكَانَ الدَّاخِلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«حَوِّلِي هَذَا، فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لَّهُ أَيْضًا: قَالَتْ: «قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ عَلَى بَابِي دُرْنُوكًا فِيهِ الْخَيْلُ ذَوَاتُ الْأَجْنِحَةِ، فَأَمَرَنِي فَنَزَعْتُهُ».

وَهِيَ أَيْضًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٥٩٥٥) بِلَفْظِ: دُرْنُوكًا فِيهِ تَمَاثِيلُ.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ، أَوْ فَعُرِفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، فَمَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟»**. فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ، تَقْعُدُ عَلَيْهَا

وَتَوَسَّدُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أما قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»، فَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْأُصُولِيُّونَ أَمْرَ تَعْجِيزٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣].ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي زُرْعَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، دَارًا بِالْمَدِينَةِ، فَرَأَى أَعْلَاهَا مُصَوِّرًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٣).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢١١١) أَيْضًا، وَعِنْدَهُ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي دَارِ مَرْوَانَ، فَرَأَى فِيهَا تَصَاوِيرَ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: «**أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**».

إِنَّ اللهَ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]؛ فَلَا تَجُوزُ الْمُضَاهَاةُ بِخَلْقِ اللهِ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَجَعَلَ يُفْتِي، وَلَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: ادْنُهْ، فَدَنَا الرَّجُلُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَن صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَن يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**».(٢)

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، إِنِّي إِنْسَانٌ إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِن صَنْعَةِ يَدِي، وَإِنِّي أَصْنَعُ هَذِهِ التَّصَاوِيرَ، فَقَالَ

(١) البخاري (رقم: ٢١٠٥، و٥١٨١، و٥٩٥٧، و٥٩٦١)، ومسلم (رقم: ٢١٠٧).
(٢) البخاري (رقم: ٥٩٦٣)، ومسلم (رقم: ٢١١٠).

ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَن صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا**». فَرَبَا الرَّجُلُ رَبْوَةً شَدِيدَةً، وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَن تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّجَرِ، كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٦٣).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢١١٠)(١٠٠): جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ، فَأَفْتِنِي فِيهَا، فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا، فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**».

وقَالَ: «إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٠٩).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَحْرِيمِ تَصْوِيرِ الْحَيَوَانِ، وَأَنَّهُ غَلِيظُ التَّحْرِيمِ، وَأَمَّا الشَّجَرُ وَنَحْوُهُ مِمَّا لَا رُوحَ فِيهِ فَلَا تَحْرُمُ صِنْعَتُهُ وَلَا التَّكَسُّبُ بِهِ، وَسَوَاءٌ الشَّجَرُ الْمُثْمِرُ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً، إِلَّا مُجَاهِدًا، فَإِنَّهُ جَعَلَ الشَّجَرَ الْمُثْمِرَ مِنَ الْمَكْرُوهِ.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٨٤٣٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٥٧٤)، وَصَحَّحَهُ.(١)

(١) وهو في "الصحيحة"(رقم: ٥١٢)، و"الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٠٦).

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ قُرِنَ الْمُصَوِّرُونَ فِي هَذَا الْحَدِيْثِ بِالْجَبَّارِ الْعَنِيْدِ وَبِالْمُشْرِكِ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ، وَقَد تَّقَدَّمَتْ أَدِلَّةٌ قُرِنَتْ فِيْهَا فِتْنَةُ التَّصْوِيْرِ بِفِتْنَةِ الشِّرْكِ.

وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُصَوِّرَ، كما في صحيح الْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٠٨٦، و٢٢٣٨، و٥٣٤٧، و٥٩٦٢) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَنَعُوذُ باللهِ مِن لَّعْنَةِ اللهِ وَلَعْنَةِ رَسُولِهِ!.

فَالتَّصْوِيْرُ كَبِيْرَةٌ مِّن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَحَادِيْثُ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي "الزَّوَاجِرِ عَنِ اقْتِرَافِ الْكَبَائِرِ"(ج٢/صـ: ٤٨): [الْكَبِيْرَةُ الثَّامِنَةُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ: تَصْوِيْرُ ذِي رُوحٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ مِن مُّعَظَّمٍ أَوْ مُمْتَهَنٍ بِأَرْضٍ أَوْ غَيْرِهَا].

وَمِن شُؤْمِ الصُّوَرِ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا هِيَ فِيْهِ، فَقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَد تَّقَدَّمَ.

وَلَهُمَا عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»**.(١)

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي "الْمُفْهِمِ": «إِنَّمَا لَمْ تَدْخُلِ الْمَلَائِكَةُ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورَةُ؛ لِأَنَّ مُتَّخِذَهَا قَد تَّشَبَّهَ بِالْكُفَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الصُّوَرَ فِي بُيُوتِهِمْ وَيُعَظِّمُونَهَا، فَكَرِهَتِ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ، فَلَمْ تَدْخُلْ بَيْتَهُ؛ هَجْرًا لَهُ؛ لِذَلِكَ». نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ" (ج١٠/صـ: ٣٩١-٣٩٢).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيبُ إِلَّا نَقَضَهُ»**، وَبَوَّبَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ نَقْضِ الصُّوَرِ).

---

(١) البخاري (رقم: ٣٢٢٥، و٣٣٢٢، و٤٠٠٢، و٥٩٤٩)، ومسلم (رقم: ٢١٠٦).

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٩٦٩) عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟: «**أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**».

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ نَقْضِ صُوَرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، وَطَمْسِهَا، وَالْمُجْزِئُ مِن ذَلِكَ: إِزَالَةُ رَأْسِهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ لِي: أَتَيْتُكَ الْبَارِحَةَ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْبَابِ تَمَاثِيلُ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ كَلْبٌ، فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي الْبَيْتِ يُقْطَعُ، فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ، وَمُرْ بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَعْ، فَلْيُجْعَلْ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ مَنْبُوذَتَيْنِ تُوطَآنِ، وَمُرْ بِالْكَلْبِ فَلْيُخْرَجْ**». فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا الْكَلْبُ لِحَسَنٍ - أَوْ حُسَيْنٍ - كَانَ تَحْتَ نَضَدٍ لَهُمْ، فَأُمِرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٨٠٤٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤١٥٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٨٠٦).(١)

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَالنَّضَدُ: شَيْءٌ تُوضَعُ عَلَيْهِ الثِّيَابُ شَبَهُ السَّرِيرِ.

وَالشَّاهِدُ مِنْهُ قَوْلُهُ: «**فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي الْبَيْتِ يُقْطَعُ، فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ**».

وَذَكَرَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ١٩٢١) حَدِيثًا مَرْفُوعًا: «**الصُّورَةُ الرَّأْسُ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ فَلَيْسَ بِصُورَةٍ**»، ثُمَّ قَالَ: فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ قَطْعَ رَأْسِ الصُّورَةِ - أَيِ: التِّمْثَالِ الْمُجَسَّمِ يَجْعَلُهُ كَـ (لَا صُورَةَ)، وَهَذَا فِي الْمُجَسَّمِ، كَمَا قُلْنَا، وَأَمَّا فِي الصُّورَةِ الْمَطْبُوعَةِ عَلَى الْوَرَقِ أَوِ الْمُطَرَّزَةِ عَلَى الْقُمَاشِ، فَلَا يَكْفِي رَسْمُ خَطٍّ عَلَى الْعُنُقِ لِيَظْهَرَ كَأَنَّهُ مَقْطُوعٌ عَنِ الْجَسَدِ، بَل لَّا بُدَّ مِنَ الْإِطَاحَةِ بِالرَّأْسِ، وَبِذَلِكَ تَتَغَيَّرُ مَعَالِمُ الصُّورَةِ، وَتَصِيرُ

---

(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه أيضًا: ابن حبان (رقم: ٥٨٥٣، و٥٨٥٤)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣٥٦)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٤٦).

كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ**»، فَاحْفَظْ هَذَا، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَا جَاءَ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْفِقْهِ وَمَنْ أَخَذَهَا أَصْلًا مِنَ الْمُتَأَخِّرِيْنَ.ا.هـ.

فَمَا أَعْظَمَ الْبَلِيَّةَ بِالصُّوَرِ فِي هَذَا الزَّمَانِ!، وَمَا أَقَلَّ مَن يَنقُضُهَا وَيَطْمِسُهَا!، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

صَارَتْ صُوَرُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مَشْهَدًا حَاضِرًا فِي حَيَاةِ النَّاسِ، لَا يَكَادُونَ يَنفَكُّونَ عَنْهُ، فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ غُرْبَةِ الدِّيْنِ، فَلَا تَسَلْ عَنْ حَالِ التِّلْفَازِ، وَمَا الَّذِي زَرَعَهُ فِي نُفُوسِ مُشَاهِدِيْهِ، فَبِئْسَ الْجِهَازُ التِّلْفَازُ، فَفِيْهِ إِلَى الْخَنَا إِيْعَازٌ، وَعَلَى الْوَقْتِ وَالْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ إِجْهَازٌ.

وَأَعْظَمُ وَأَطَمُّ مِنْهُ الْآنَ: هَذِهِ الْجَوَّالَاتُ، فَلَقَدْ صَارَتْ عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا مِنْ أَوْسَعِ أَوْدِيَةِ الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ، وَمِنْ أَخْطَرِ وَسَائِلِ الْفِتْنَةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى سُوءِ الْحَالِ.

رُبَّمَا يَجْلِبُ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ أَوْ لِابْنَتِهِ أَوْ لِأُخْتِهِ بِجَلْبِهِ التِّلْفَازَ إِلَى بَيْتِهِ عَشِيْقًا مُصَوَّرًا!.

وَرُبَّمَا يَجْلِبُ لَهُنَّ بِتَمْكِيْنِهِنَّ مِنَ الْجَوَّالَاتِ وَتَرْكِ الْحَبْلِ لَهُنَّ عَلَى الْغَارِبِ دُونَ مُرَاقَبَةٍ وَلَا رِعَايَةٍ عَشِيْقًا نَّاطِقًا حَاضِرًا.

فَرُبَّ نَظْرَةٍ مُحَرَّمَةٍ، أَوْ رِسَالَةٍ نَّصِّيَّةٍ أَوْ مُكَالَمَةٍ هَاتِفِيَّةٍ أَوْ مُحَادَثَةٍ عَبْرَ الْوَاتسِ أَوِ الْفَيْسُبوك جَرَّتْ إِلَى ارْتِكَابِ الزِّنَا أَوْ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، وَكَمَا قِيْلَ:

نَظْرَةٌ، فَابْتِسَامَةٌ، فَسَلَامٌ ... فَكَلَامٌ، فَمَوْعِدٌ، فَلِقَاءُ!

فَإِطْلَاقُ النَّظَرِ فِيْمَا حَرَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَخْصَرِ الطُّرُقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى فَسَادِ الْقُلُوبِ.

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... فِي أَعْيُنِ الْغِيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

فَكَيْفَ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ: صُوَرَ نِسَاءٍ وَّرِجَالٍ عُرَاةٍ يَنزُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ!، تاللهِ إِنَّ إِفْسَادَهَا لَعَظِيْمٌ، وَفِعْلَهَا فِي الْقَلْبِ كَفِعْلِ السُّمِّ فِي الْبَدَنِ!.

لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِن كَمَدٍ إِن كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالْغَضِّ مِنَ الْأَبْصَارِ قَبْلَ أَمْرِهِ بِحِفْظِ الْفُرُوجِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّظَرَ الْحَرَامَ زِنَا الْعَيْنِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٥٧). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٢٤٣، و٦٦١٢) بَعْضَهُ.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالنَّهْيُ عَن قُرْبَانِهِ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَن مُجَرَّدِ فِعْلِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَن جَمِيعِ مُقَدِّمَاتِهِ وَدَوَاعِيهِ؛ فَإِنَّ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوْشِكُ أَن يَقَعَ فِيهِ، خُصُوصًا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ أَقْوَى دَاعٍ إِلَيْهِ».

وَمُقَدِّمَاتُ الزِّنَا وَدَوَاعِيهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ عَمَّتْ بِهَا الْبَلْوَى، وَمِنْ أَخْطَرِهَا وَأَكْثَرِهَا شُيُوعًا فِي هَذَا الزَّمَانِ: النَّظَرُ الْحَرَامُ، فَلَقَدْ فُتِحَ هَذَا الْبَابُ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ عَلَى النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ، فَالْقَنَوَاتُ وَالْمَوَاقِعُ الْإِبَاحِيَّةُ عَلَى

شَبَكَةِ الْإِنتَرْنِت لَا تَتَوَقَّفُ عَن بَثِّ مَشَاهِدِ الْخَنَا وَالزِّنَا وَاللِّوَاطِ والرَّقْصِ وَالْمُجُونِ وَنَقْلِ صُوَرِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ العُرَاةِ وَهُمْ يَتَسافَدُونَ تَسَافُدَ الْحُمُرِ!.

فلَقَدْ أَصْبَحَ التِّلْفَازُ وَالْجَوَّالُ دَاعِيَتا هذا الْعَصْرِ إِلَى الرَّذِيْلَةِ، وَالْخَنَا، وَالدَّعَارَةِ، وَالتَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَالِانحِطَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ!

وَالتِّلْفَازُ الْآنَ فِي أَكْثَرِ بُيُوتِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَالْبُيُوتُ الَّتِي تَخْلُو مِنْهُ قَلِيْلَةٌ!.

وَالْجَوَّالُ صَارَ فِي مُتَنَاوَلِ النَّاسِ، صِغَارِهِمْ وَكِبَارِهِمْ، رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُحَذِّرُ صَاحِبَ كُلِّ بَيْتٍ مِنْ أَن يَضَعَ فِي بَيْتِهِ مِثْلَ هَذَا الدُّشِّ؛ لِأَنَّهُ سَوْفَ يُخَلِّفُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَكُونُ وَبَالًا عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَإِنِّي أَسْأَلُ وَاضِعَ الدُّشِّ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ يَرَى هَذِهِ الْمَنَاكِيْرِ الَّتِي تُبَثُّ مِنْهُ، هَلْ هُوَ بِهَذَا نَاصِحٌ لِأَهْلِ بَيْتِهِ أَوْ غَاشٌّ لَهُمْ؟ وَالْجَوَابُ - وَلَابُدَّ - أَنَّهُ غَاشٌّ، إِلَّا أَن يَكُونَ مِمَّن طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا يَحُسُّ، لَكِن سَيَقُولُ: إِنَّهُ غَاشٌّ. فَأَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»**.ا.هـ.(١)

لَقَدْ صَارَ الزِّنَا وَاللِّوَاطُ يُوَثَّقَانِ بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ، وَصَارَتْ مَشَاهِدُ الْخَنَا سَهْلَةَ الْمُتَنَاوَلِ، فَبِإِمْكَانِ مَن يَّقْتَنِي جَوَّالَاتِ اللَّمْسِ أَن يُنَزِّلَ أَصْنَافَ الْمَقَاطِعِ الْإِبَاحِيَّةِ: لَيْسَ مَصْدَرُهَا مِن فِرَنسَا أَوْ إِيطَالِيَا أَوِ الْيَابَانِ أَوْ رُوسِيَا أَوْ أَمْرِيكَا أَوْ بِرِيطَانِيَا فَحَسْبُ، بَلْ مِن دُوَلٍ مَحْسُوبَةٍ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعُرُوبَةِ، كَلُبْنَانَ أَوْ مِصْرَ، بَلْ: حَتَّى مِنْ أَرْضِ نَجْدَ وَالْحِجَازِ، وَالْيَمَنِ، الْقُطْرِ الَّذِي اشْتَهَرَ أَهْلُهُ بِالنَّخْوَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْغَيْرَةِ وَالشَّهَامَةِ

---

(١) "مجموع فتاواه ورسائله"(ج١٥/صـ: ٣٠-٣١).

والحديث المذكور رواه البخاري (برقم: ٧١٥١)، ومسلم (برقم: ١٤٢).

وقد ذكرت مخاطر التلفاز ومفاسده في المجلس السادس عشر من كتابي: "مجالس رمضانية".

وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ!. فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ عِظَمِ هَذَا الْبَلَاءِ، الَّذِي جَرَّ إِلَيْهِ التَّصْوِيْرُ، وَإِطْلَاقُ النَّظَرِ فِيْمَا حَرَّمَ اللهُ ﷻ، وَقَدْ حَصَلَ أَن وَقَعَ بَعْضُ الْأَوْلَادِ عَلَى بَعْضِ أَخَوَاتِهِ؛ مُحَاكِيًا مَا يُشَاهِدُ مِنَ الْخَنَا.

أَلْقَــاهُ فِي الْــيَمِّ مَكْتُوفًــا وَقَــالَ لَــهُ ... إِيَّــاكَ إِيَّــاكَ أَن تَبْتَــلَّ بِالْمَــاءِ

هُنَاكَ قَصَصٌ وَّاقِعِيَّةٌ كَثِيْرَةٌ فِي بِلَادِنَا هَذِهِ الَّتِي لَا زَالَ فِيْهَا خَيْرٌ ظَاهِرٌ، قَصَصٌ تُؤْلِمُ قَلْبَ الْغَيُورِ، وَتَبْعَثُ فِي قَلْبِهِ الْوَحْشَةَ، فِيْهَا فَضَائِحُ وَقَبَائِحُ، زِنًا وَّلِوَاطٌ، أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهُمَا، وَهَتْكُ الْعَوْرَاتِ، وَإِبْدَاءُ السَّوْءَاتِ، وَانتِهَاكُ الْحُرُمَاتِ فِي الْخَلَوَاتِ وَالْجَلَوَاتِ، هِيَ نِتَاجُ الْبُعْدِ عَنِ اللهِ وَعَدَمِ مُرَاقَبَتِهِ، تُوَثَّقُ بِالصُّوَرِ، وَتُنشَرُ، فَتَعُمُّ بِهَا الْفَضِيْحَةُ، وَتَعْظُمُ بِهَا الْفِتْنَةُ!.

صَارَ التَّصْوِيرُ وَسِيْلَةً مِّنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُسْتَدْرَجُ بِهَا النِّسَاءُ، لِيُؤْخَذَ مَالُهَا، وَيُزْنَى بِهَا، وَكَمْ مِّن جَرِيْمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ وَهَزَّتْ مُجْتَمَعَنَا الْيَمَنِيَّ مَعَ مَا عُرِفَ بِهِ مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْقِيَمِ وَمِنَ النَّخْوَةِ وَالْغَيْرَةِ، مَنشَؤُهَا تَصْوِيرُ النِّسَاءِ، عَن طَرِيقِ بَعْضِ مَحَلَّاتِ الْكَوَافِيْرِ، أَوْ مَحَلَّاتِ صِيَانَةِ الْجَوَّالَاتِ، أَوْ شَبَكَاتِ الدَّعَارَةِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ هَذِهِ الصُّوَرُ، وَيَسْتَدْرِجُ بِهَا جَمٌّ غَفِيرٌ مِّنَ النِّسْوَةِ!؛ حَتَّى تُفْعَلَ بِهِنَّ الْفَاحِشَةُ، مُوَثَّقَةً بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ؛ لِتُبَاعَ هَذِهِ الْفِيْدِيُوهَاتِ إِلَى مُنَظَّمَاتٍ خَارِجِيَّةٍ أَوْ شَرِكَاتِ دَعَارَةٍ، وَرُبَّمَا نُشِرَتْ عَبْرَ الْمَوَاقِعِ الْإِبَاحِيَّةِ!، وَلَعَلَّ مَا خَفِيَ أَعْظَمُ، فَوَاأَسَفَى عَلَى الْحُرُمَاتِ!.

وَلَيْسَتِ الْمَرْأَةُ مُكْرَهَةً وَّالْحَالُ هَذَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الْعَاقِلَةَ الْعَفِيْفَةَ لَا يُمْكِنُ أَن تُلَبِّيَ نِدَاءَ الزِّنَا بِهَا، حَتَّى وَإِنْ هُدِّدَتْ بِنَشْرِ صُوَرِهَا، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ كَمَا قِيْلَ:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

الْعَفِيْفَةُ حَقًّا وَالصَّالِحَةُ صِدْقًا لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا الزُّنَاةُ الْفَجَرَةُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَتَأَمَّلُوا فِي مَوْقِفٍ عَظِيمٍ وَّقَعَ لِسَارَةَ زَوْجِ الْخَلِيْلِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ،

وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لَا تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ، قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، أَرْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ، فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً». (١)

مَا أَعْظَمَهُ مِن مَّوْقِفٍ!، وَمَا أَجَلَّهَا مِنْ خَصْلَةٍ!: (وَأَحْصَنتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي).

إِنَّ مَا يُزْعِجُ الْأَسْمَاعَ وَيَقْرَعُ الْقُلُوبَ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ مِن قَصَصٍ وَّاقِعِيَّةٍ لِإِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ لَيْسَ مُجَرَّدَ حَوَادِثَ عَابِرَةٍ، بَل لَّا بُدَّ مِنْ أَخْذِ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ مِنْهَا، وَالسَّعِيْدُ مَن وُّعِظَ بِغَيْرِهِ.

فَإِخْلَالُ وُلَاةِ أُمُورِ النِّسَاءِ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِم مِّن صِيَانَةِ نِسَاءِهِمْ وَحَمْلِهِنَّ عَلَى الْعِفَّةِ وَالْحِشْمَةِ، سَوَاءٌ أَكُنَّ أُمَّهَاتٍ أَوْ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ زَوْجَاتٍ؛ يُورِثُ الْعَوَاقِبَ الْوَخِيْمَةَ وَالنَّتَائِجَ الْأَلِيْمَةَ، وَالذُّلَّ وَالْعَارَ!.

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّن نَّالَ شَهْوَتَهُ ... مِنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ

(١) البخاري (برقم: ٢٢١٧، و٢٦٣٥، و٣٣٥٨)، ومسلم (برقم: ٢٣٧١).

تَبْقَى عَوَاقِبَ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِّن بَعْدِهَا النَّارُ

قَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧].

وَتَمْكِينُهُنَّ مِنَ الْجَوَّالَاتِ وَاسْتِعْمَالِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، كَـ (الْوَاتَس)، وَالتَّسَاهُلُ فِي خُرُوجِهِنَّ إِلَى الْأَسْوَاقِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَبِدُونِ مَحْرَمٍ مَّعَ كَوْنِ الْفِتْنَةِ غَيْرَ مَأْمُونَةٍ، وَفِي وُرُودِهِنَّ مَحَلَّاتِ بَيْعِ أَوْ صِيَانَةِ الْجَوَّالَاتِ الَّتِي صَارَ بَعْضُ أَصْحَابِهَا كَالذِّئَابِ الْمُفْتَرِسَةِ، يَنْهَشُونَ الْأَعْرَاضَ، وَيَسْتَبِيحُونَ الْحُرُمَاتِ وَيُتَاجِرُونَ بِمَشَاهِدِ الزِّنَا بِالنِّسَاءِ؛ خِيَانَةً لِلْأَمَانَةِ، وَتَضْيِيعًا لَهَا، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وَكَذَلِكَ التَّسَاهُلُ فِي التَّصْوِيرِ، وَهُوَ كَبِيرَةٌ مِّنَ الْكَبَائِرِ وَمِنَ الذَّرَائِعِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى الْفَاحِشَةِ، فَلِمَاذَا تُصَوِّرُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟ فَتَعْصِي بِذَلِكَ رَبَّهَا وَتُعِينُ شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ عَلَى نَفْسِهَا، وَمَا الدَّاعِي إِلَى تَصْوِيرِهَا فِي حَفْلِ زِفَافِهَا وَهِيَ بِكَامِلِ زِينَتِهَا، قَدْ بَدَا مِنْهَا شَعْرُهَا وَعَضُدَاهَا، وَشَيْءٌ مِن صَدْرِهَا وَمَا الدَّاعِي أَيْضًا إِلَى احْتِفَاظِهَا بِصُوَرِهَا فِي جَوَّالِهَا وَهِيَ عَلَى هَذَا الْحَالِ، هَذَا نَوْعُ دِيَاثَةٍ أَيُّهَا النَّاسُ، يُنبِئُ عَن قِلَّةِ الْغَيْرَةِ وَضَعْفِ الْإِيمَانِ!.

قَبْلَ ظُهُورِ التَّصْوِيرِ الرَّقْمِيِّ كَانَ هُنَاكَ مَا يُعْرَفُ بِالتَّصْوِيرِ الْفُوتُوغْرَافِيِّ، يُحْتَفَظُ فِيهِ بِالصُّوَرِ بَعْدَ الْتِقَاطِهَا فِي أَفْلَامٍ، ثُمَّ تُحَمَّضُ، فَكَانَ يُذْهَبُ بِصُوَرِ حَفَلَاتِ الزِّفَافِ إِلَى اسْتُدْيُوهَاتِ التَّصْوِيرِ؛ لِتَحْمِيضِهَا، فَيَقِفُ الْعَامِلُونَ فِي مَحَلَّاتِ التَّصْوِيرِ عَلَى تِلْكَ الصُّوَرِ، بِرِضَا الزَّوْجِ أَوِ الْأَبِ أَوِ الْأَخِ أَوِ الِابْنِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الدِّيَاثَةِ!.

أَمَّا الْآنَ فَتُصَوَّرُ حَفَلَاتُ الْأَعْرَاسِ بِالْفِيدْيُو كِلِيب، صَوْتًا وَّصُورَةً!، وَرُبَّمَا يَكُونُ الَّذِي تَوَلَّى التَّصْوِيرَ أَجْنَبِيًا مِّنَ الْمَرْأَةِ!، وَتَصِلُ بَعْضُ هَذِهِ الصُّوَرِ إِلَى مُتَنَاوَلِ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ، وَرُبَّمَا يَعُمُّ نَشْرُهَا عَبْرَ الشَّبَكَاتِ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، إِمَّا عَن طَرِيقِ مَحَلَّاتِ صِيَانَةِ الْجَوَّالِ أَوْ عَن طَرِيقِ بَرَامِجِ اسْتِعَادَةِ الْمَلَفَّاتِ الْمَحْذُوفَةِ، أَوْ عَن طَرِيقِ سُقُوطِ

الذَّوَاكِرِ فِي الطُّرُقَاتِ، أَوْ رُبَّمَا بِتَعَمُّدِ نَشْرِهَا مِن قِبَلِ بَعْضِ النِّسَاءِ أَنفُسِهِنَّ، بَلْ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِن ذَلِكَ، مِن تَصْوِيرِ بَعْضِ النِّسَاءِ نَفْسَهَا فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ أَوِ الْحَمَّامِ عَارِيَةً أَوْ شِبْهَ عَارِيَةٍ، ثُمَّ تَبْعَثُ بِهَا إِلَى عَشِيقِهَا أَوْ تَنشُرُهَا مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ!، فَأَيْنَ الْغَيْرَةُ؟ وَأَيْنَ حَرَارَةُ الْإِيمَانِ؟ فَإِلَى اللهِ نَشْكُو كَثْرَةَ الْخَبَثِ وَظُهُورَ الْفَسَادِ وَالتَّخَاذُلَ عَنْ حِرَاسَةِ الْفَضِيلَةِ وَصِيَانَةِ الْحُرُمَاتِ، ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

لَقَدْ صَارَ التَّصْوِيرُ فِتْنَةَ الْعَصْرِ، فَهُوَ مَشْهَدٌ حَاضِرٌ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، فِي الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْمَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةِ، وَعَلَى الْأَرْصِفَةِ، فِي لَوْحَاتِ الدِّعَايَةِ وَالْإِعْلَانِ، وَعَلَى عَامَّةِ الْمَصْنُوعَاتِ، وَالَّتِي مِنْهَا الْمُعَلَّبَاتُ وَالْمُقَرْطَسَاتُ، فَالْبَسْكَوِيتُ: (أَبُو وَلَدٍ)!، وَالسَّمْنُ: (أَبُو بِنتٍ)!، وَالزَّيْتُ: (شِيف)!، أَوِ (الطَّبَّاخ)!، عَلَيْهِ صُورَةُ الطَّبَّاخِ، وَالْحَلِيبُ: (الْبَقَرِيُّ)!، عَلَيْهِ صُورَةُ بَقَرَةٍ، وَحَلِيبُ الشَّاي (الْمُمْتَازُ): عَلَيْهِ صُورَةُ امْرَأَةٍ جَذَّابَةٍ!، وَالْمُهَدِّئُ الْبَارَامُول: (أَبُو قِطٍّ)!، وَالْكَبْرِيتُ (عُودُ الثِّقَابِ): أَبُو حِصَانٍ!، وَالزَّعْفَةُ: (أَبُو أَسَدٍ)!، أَوْ: (أَبُو فِيلٍ)!، أَوْ: (أَبُو دُبٍّ)!، وَالسَّمَكُ الْمُعَلَّبُ (التُّونَةُ) عَلَيْهِ صُوَرُ أَسْمَاكٍ!، وَالشَّامْبُو وَالصَّابُونُ عَلَيْهِ صُوَرُ نِسَاءٍ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ!، أَوْشَكُوا أَن لَّا يَصْنَعُوا شَيْئًا إِلَّا وَصَوَّرُوا فِيهِ، فاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!.

وَشِعَارُ بَعْضِ الدُّوَلِ صُورَةٌ، كَشِعَارِ دَوْلَتِنَا: (الطَّيْر)، وَهُوَ يُوجَدُ عَلَى جَمِيعِ الْأَوْرَاقِ وَالْوَثَائِقِ الرَّسْمِيَّةِ الْحُكُومِيَّةِ!، وَكَذَلِكَ الْعُمُلَاتُ الْوَرَقِيَّةُ لَا تَخْلُو مِن صُوَرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ!.

للهِ دَرُّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ حَقًّا، لَا تَجِدُ دَقِيقَاتِ الْوَرَعِ إِلَّا عِندَهُمْ، بُيُوتُهُمْ خَالِيَةٌ مِّنَ التِّلْفَازِ وَالصُّوَرِ، وَجَوَّالَاتُهُم سَلِيمَةٌ مِّنَ الْمَحَاذِيرِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِذَا اشْتَرَى أَحَدُهُم مُّعَلَّبَاتٍ، كَحَلِيبِ الشَّاي، أَو مُقَرْطَسَاتٍ، كَحَفَّاظَاتِ الْأَطْفَالِ، أَوِ الصَّابُونِ لَا يَنقَلِبُ بِهَا إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا وَقَدْ مَزَّقَ مَا فِيهَا مِن صُوَرٍ، كَثَّرَ اللهُ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ.

إِنَّ تَوَسُّعَ النَّاسِ فِي التَّصْوِيرِ وَاقْتِنَاءِ الصُّوَرِ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَمْرٌ عَجِيْبٌ، حَتَّى صَارَتْ صُوَرُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ تُطَرَّزُ عَلَى الثِّيَابِ أَوْ تُطْبَعُ عَلَيْهَا، وَشَاعَ لُبْسُ هَذِهِ الثِّيَابِ، خَاصَّةً فِي أَوْسَاطِ الشَّبَابِ، وَمُصِيبَةٌ أُخْرَى أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الصُّوَرِ لِكُفَّارٍ، مِن مُّغَنِّيهِمْ أَوْ لَعَّابِيهِمْ أَوْ نَحْوِهِمْ.

وَهَذَا فِيهِ تَعْظِيمٌ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، وَتَلْمِيعٌ لَّهُمْ، وَهَدْمٌ لِّبَابِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَأَذْكُرُ أَنَّهُ فِي مُظَاهَرَاتِ وَاعْتِصَامَاتِ مَا يُعْرَفُ بِـ: (الرَّبِيعِ الْعَرَبِيِّ) الْمَشْؤُومِ كَانَ بَعْضُهُمْ هُنَا فِي الْيَمَنِ يَرْفَعُ صُوَرَ (جِيْفَارَا)، وَجِيْفَارَا هَذَا عِلْجٌ مُّلْحِدٌ مَّادِيٌّ كَافِرٌ مِّن رُؤُوسِ الِاشْتِرَاكِيَّةِ!.

أَفَبِهَذَا يُرْجَى الْفَلَاحُ أَوْ يُؤَمَّلُ النَّجَاحُ؟!، كَلَا واللهِ.

وَقد تَّكُونُ بَعْضُ هَذِهِ الصُّوَرِ الْمُطَرَّزَةِ أَوِ الْمَطْبُوعَةِ صَلِيبًا، وَهُوَ شِعَارُ النَّصَارَى الْمُشْرِكِيْنَ، وَقَدْ يَكُونُ مُصَوَّرًا عَلَى أَعْلَامِ بَعْضِ الدُّوَلِ النَّصْرَانِيَّةِ، كبِرِيْطَانِيَا، وَسُوَيْسِرا، وَالسُّوَيْدِ، أَوْ عَلَى بَعْضِ الشِّعَارَاتِ، كَشِعَارِ فَرِيقِ بَرْشَلُونَةَ لِكُرَةِ الْقَدَمِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

فِي "فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(م.٢)(ج١/صـ: ٤٣٥): لَا يَجُوزُ اسْتِيرَادِ الْمَطَاوِي لِلْجَيْبِ الَّتِي عَلَيْهَا الشِّعَارُ الْمَذْكُورُ وَهُوَ الصَّلِيبُ؛ لِمَا فِيهِ مِن تَرْوِيجِ شِعَارِ النَّصَارَى بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَفِيهَا أَيْضًا (م.١)(ج٢٤/صـ: ١٩): إِذَا عُلِمَ بِوُجُودِ الصَّلِيبِ فِي الْمَلَابِسِ بَعْدَ شِرَائِهَا فَإِنَّهُ تَحْرُمُ الصَّلَاةُ فِيهَا، وَتَجِبُ إِزَالَةُ الصَّلِيبِ بِمَا يُزِيلُ صُورَتَهُ بِحَكٍّ أَوْ صَبْغٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَفِيهَا أَيْضًا (م.١)(ج٣/صـ: ٤٣٨): صُنْعُ الصَّلِيبِ حَرَامٌ، سَوَاءٌ كَانَ مُجَسَّمًا، أَمْ نَقْشًا، أَمْ رَسْمًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، عَلَى جِدَارٍ أَوْ فَرْشٍ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا يَجُوزُ إِدْخَالُهُ

مَسْجِدًا وَّلَا بُيُوتًا وَلَا دُورَ تَعْلِيمٍ مِّن مَّدَارِسَ وَمَعَاهِدَ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَا يَجُوزُ الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِ، بَلْ يَجِبُ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ وَإِزَالَتُهُ بِمَا يَذْهَبُ بِمَعَالِمِهِ مِن كَسْرٍ وَّمَحْوٍ وَطَمْسٍ وَّغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا يَجُوزُ بَيْعُهُ وَلَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ.

وَفِيْهَا أَيْضًا (م.٢)(ج٢/صـ: ٤٦٦): لَا يَجُوزُ تَصْوِيرُ الصُّلْبَانِ أَوْ غَيْرِهَا مِن رُّمُوزِ الْكُفْرِ وَنَشْرُهَا فِي الْمَجَلَّاتِ وَالْإِعْلَانَاتِ، إِلَّا إِذَا قُصِدَ مِن ذَلِكَ تَعْرِيفُ الْمُسْلِمِيْنَ بِهَا لِلْحَذَرِ مِنْهَا، حَتَّى لَا يَحْصُلَ مِنْهُمُ احْتِفَاءٌ بِهَا وَتَعْظِيْمٌ لَهَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَيُقْرَنُ نَشْرُهَا بِبَيَانٍ يُّفِيْدُ ذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ تَصْوِيرُ الشَّعَائِرِ الدِّيْنِيَّةِ الْكُفْرِيَّةِ وَلَا عَرْضُهَا عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمُنَاقَضَةِ دِيْنِ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا الْعَمَلُ أَيْضًا دَاعٍ لِّلتَّعَلُّقِ وَالتَّأَثُّرِ بِهَا، وَخُصُوصًا مِّن ضُعَفَاءِ الْإِيْمَانِ، كَمَا أَنَّ فِي ذَلِكَ أَيْضًا كَسْرًا لِّحَاجِزِ النُّفْرَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكُفْرِ، وَمَا كَانَ هَذَا سَبِيْلَهُ فَيَجِبُ الِابْتِعَادُ عَنْهُ.ا.هـ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**»،(١) فَالْجَوَابُ عَنْهُ مِن وُّجُوهٍ:

مِنْهَا: أَنَّ الْأَحَادِيْثَ الْوَارِدَةَ فِي تَحْرِيْمِ التَّصْوِيرِ وَلَعْنِ الْمُصَوِّرِيْنَ وَالتَّصْرِيْحِ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَّوْمَ الْقِيَامَةِ مُطْلَقَةٌ عَامَّةٌ، لَيْسَ فِيْهَا تَقْيِيْدٌ وَّلَا اسْتِثْنَاءٌ، فَوَجَبَ الْأَخْذُ بِهَا، وَالتَّمَسُّكُ بِعُمُومِهَا وَإِطْلَاقِهَا.

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٥٩٥٨)، ومسلم (رقم: ٢١٠٦) من حديث أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورواه أحمد (رقم: ١٥٩٧٩)، والترمذي (رقم: ١٧٥٠)، والنسائي (رقم: ٥٣٤٩، و ٥٣٥٠) من حديث سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه أيضًا: ابن حبان (رقم: ٥٨٥١)، والألباني في "غاية المرام"(رقم: ١٣٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٦٣).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى الصُّوَرَ الْمَوْجُودَةَ فِي السُّتُورِ وَالْحِيْطَانِ غَضِبَ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَأَمَرَ بِهَتْكِ السُّتُورِ الَّتِي فِيْهَا الصُّوَرُ وَمَحْوِ الصُّوَرِ الَّتِي فِي الْجُدْرَانِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا وَرَدَ فِي سِيَاقِ الْأَحَادِيْثِ الدَّالَّةِ عَلَى امْتِنَاعِ الْمَلَائِكَةِ مِن دُخُولِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيْهِ تَصَاوِيْرُ، وَلَمْ يَرِدْ فِي سِيَاقِ الْأَحَادِيْثِ الْمَانِعَةِ مِنَ التَّصْوِيرِ، وَفَرْقٌ عَظِيْمٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**»، يَجِبُ أَن يُحْمَلَ عَلَى النُّقُوشِ الَّتِي لَيْسَتْ بِصُوَرٍ، أَوْ عَلَى الصُّوَرِ الَّتِي قُطِعَ رَأْسُهَا أَوْ طُمِسَ، أَوِ الَّتِي فِي الثِّيَابِ الَّتِي تُمْتَهَنُ بِاتِّخَاذِهَا وَسَائِدَ وَبُسُطًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ، لَا فِيْمَا يُنصَبُ وَيُرْفَعُ كَالسُّتُورِ عَلَى الْأَبْوَابِ وَالْجُدْرَانِ وَالْمَلَابِسِ، فَإِنَّ الْأَحَادِيْثَ الصَّحِيْحَةَ صَرِيْحَةٌ فِي تَحْرِيْمِ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ يَمْنَعُ مِن دُخُولِ الْمَلَائِكَةِ.ا.هـ.(١)

فَإِن قَالَ قَائِلٌ: فَمَا بَالُ صُوَرِ الْبَطَائِقِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْجَوَازَاتِ؟ قِيْلَ: إِثْمُهَا عَلَى مَنْ أَلْزَمَ بِهَا.

وَمِنْ عَجِيْبِ تَوَسُّعِ النَّاسِ فِي التَّصْوِيرِ وَاقْتِنَاءِ الصُّوَرِ فِي هَذَا الزَّمَانِ: أَنَّ مَا لَيْسَ مِن ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ صَارَ يُصَوَّرُ عَلَى هَيْئَةِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، فَيُجْعَلُ لِلشَّجَرَةِ أَوْ لِلسَّيَّارَةِ أَوْ لِلشَّمْسِ مَثَلًا عَيْنَانِ وَفَمٌ، حَتَّى يَبْدُوَ عَلَى هَيْئَةِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، وَبَرَامِجُ تَعْلِيمِ الْحُرُوفِ وَالْأَرْقَامِ لِلْأَطْفَالِ، تُعْرَضُ فِي بَعْضِهَا الْحُرُوفُ وَالْأَرْقَامُ عَلَى هَيْئَةِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ.

وَنَحْمَدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَوَّلًا وَآخِرًا، بَاطِنًا وَظَاهِرًا، عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ هَذِهِ الشَّرِيْعَةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ وَأَفْضَلُهَا، فَمَا حَرَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ إِلَّا مَا يَعُودُ عَلَيهِم بِالضَّرَرِ وَالْحَرَجِ، كَالتَّصْوِيرِ، فَإِنَّهُ ذَرِيْعَةٌ إِلَى الشِّرْكِ، كَمَا سَلَفَ بَيَانُهُ؛ وَلِهَذَا بَوَّبَ الْإِمَامُ النَّجْدِيُّ فِي كِتَابِهِ الْفَذِّ: التَّوحِيدِ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ)؛ لِتَعَلُّقِ التَّصْوِيرِ بِالشِّرْكِ.

---

(١) "مجموع فتاوى ابن باز"(ج٣/صـ: ٢٢٤-٢٢٥).

وَقَد تَّقَدَّمَ أَنَّ أَوَّلَ شِرْكٍ ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ سَبَبُهُ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِيْنَ وَالتَّصْوِيْرُ، وَقَدْ عَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْعِجْلَ الَّذِي اتَّخَذَهُ لَهُمُ السَّامِرِيُّ بَعْدَ أَنْ آتَاهُمُ اللهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[الأعراف: ١٤٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[طه: ٨٨ - ٩١].

وَكَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ مِن دُونِ اللهِ، كَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ، وَهُبَلَ، وَإِسَافَ، وَنَائِلَةَ، وَيَقُولُونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣].

وَالنَّصَارَى يَعْبُدُونَ الصَّلِيبَ، وَيَلْبَسُونَهُ، وَيَتَوَسَّعُونَ فِي تَصْوِيرِهِ، وَقَدْ صَارَ شِعَارًا لَّهُمْ!.

وَبَعْضُ النَّاسِ فِي الْهِندِ الْآنَ يَعْبُدُونَ فَرْجَ الْمَرْأَةِ!، وَيَصْطَحِبُ أَحَدُهُم مَّعَهُ صُورَةَ مَعْبُودِهِ (فَرْجِ الْمَرْأَةِ)!.

اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنَّا الْغَلَاءَ وَالْوَبَاءِ وَالرِّبَا وَالزِّنَا وَالْفَوَاحِشَ وَالْفِتَنَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.